



إن صح الاستشهاد بالقول بأن العبرة بعموم القول لا بخصوص السبب، فلقد قالت الجموع في مصر وتونس ولبيبا واليمن وسوريا قوله كريمة مستقاة من كتاب لا ريب فيه، لقد قالوا بصوت لا مفر لقادتهم من سماعه وفهمه: {قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين}، لقد سئموا وملوا من جريمة كبر مقتها وإثمها عند الله لأولئك الذين يقولون مالا يفعلون.

إن استمرار غياب البرهان في أرض الواقع والمنجزات يعمق هوة عميقة وسحيقة بين الإدعاء بالقول والتصديق بالعمل، فلم يعد للترقيع فائدة، فلقد بلي واهترأ ثوب الكذب، وكثير فتقه، وانشق كل سابق رتقه، وباتت سوآه لابسه للملأ، وفجأة حدث ما لم يكن في الحسبان، وانقلب السحر على الساحر، بل وأمن بعض اتباع السحرة.

هاتوا برهانكم على إدعاء محبة أوطانكم ومواطنيكم...

هذه مقوله وضعت تحت المحك الكثير والكثير، وسألتهم سؤالاً لا تنفع المراوغة والتضخيمات والمزايدات الإعلامية في التهرب منه.

هذا السؤال هو: من أكبير: الشعوب أم قادتها؟

في ثنايا هذا السؤال ومضات مضيئة تهدى الساري في ليل الظلم، وتعلمـه أن المصلحة العامة هي أعلى وأولى بالتقديم على كل المصالح الخاصة، وتذكر الجميع وكل الأدعـيـاء بـمعـنى مـغـيـب لـحـبـ الـوـطـنـ وـالـمـوـاـطـنـ، وـهـوـ أـنـ المـيـزـانـ الـحـقـ لـلـمـوـاـطـنـةـ ليس شعارات جوفاء، وانتـمائـاتـ اـسـمـيـةـ، وـصـورـ مـعـلـقـةـ، وـأـنـاشـيـدـ مـسـجـوـعـةـ، بلـ هوـ تـقـدـيمـ وـتـغـلـيـبـ مـصـلـحـةـ الـأـوـطـانـ عـلـىـ مـصـالـحـ أـشـخـاـصـ الـقـاـدـةـ وـالـقـلـةـ الـمـتـنـفـذـةـ وـكـلـ الـمـوـاـطـنـيـنـ مـهـمـاـ كـانـ مـوـقـعـهـ فـيـ الـهـرـمـ الـاجـتـمـاعـيـ وـالـوـظـيفـيـ.

يعظم حجم البرهان المطلوب ومقداره كلما علا موقع الفرد في هذا الهرم - فكل راعٍ مؤمن ومسؤول عما استرعاه الله -، والبون شاسع بين سؤال راعي العشرة وسؤال راعي شعب بأكمله، ولا يخفانا الحديث النبوـيـ الشـرـيفـ الـذـيـ يـتـوـعـدـ منـ رـعـيـ

أمر عشرة منـ الـخـلـقـ فـقـشـهـمـ، فـكـيـفـ يـكـونـ وـعـيـدـ وـعـقـوـبـةـ مـنـ وـلـيـ رـعـاـيـةـ شـعـبـ بـأـكـمـلـهـ فـغـشـهـ جـيـلـاـ بـعـدـ جـيـلـ؟ـ

ماـ أـسـرـنـيـ وـأـتـلـجـ صـدـريـ ظـهـورـ هـذـهـ المـفـاضـلـةـ المـفـاجـئـ فـيـ وـقـتـ الـفـتـنـ، فـلـقـدـ سـمـعـتـهـ فـيـ نـدـاءـ مـؤـدـبـ مـنـ أـحـدـ رـفـاقـ الـأـخـ العـقـيدـ الـذـيـ أـفـضـىـ لـمـاـ قـدـمـ.ـ يـقـولـ لـهـ بـحـرـقـةـ وـيـذـكـرـهـ:ـ بـأـنـ لـبـيـبـاـ كـوـطـنـ وـشـعـبـ هـيـ أـكـبـرـ مـنـ أـشـخـاـصـاـنـاـ، وـحـبـنـاـ لـهـ لـاـ يـسـتـقـيمـ وـلـاـ يـكـمـلـ إـلـاـ إـذـاـ كـانـ أـكـبـرـ مـنـ حـبـنـاـ لـأـشـخـاـصـاـنـاـ، وـرـؤـاـنـاـ، وـتـطـلـعـاتـاـنـاـ.

إن عـظـمةـ الـفـرـدـ -ـ أـيـ فـرـدـ -ـ تـكـوـنـ بـمـقـدـارـ نـفـعـهـ لـغـيـرـهـ لـاـ بـقـدـرـ نـفـعـهـ لـذـاتـهـ الصـغـيـرـةـ، لـأـنـ أـحـبـ الـخـلـقـ إـلـىـ اللـهـ أـنـفـعـهـ لـخـلـقـهـ.

من المؤلم حقاً أن ترى من ثار بالأمس على الظلم والظلمة، ورأى فيه الشعوب المظلومة والمقهورة بالأمس أملها ومنقذها ينسى اليوم وعود ثورته المجيدة، ويجد دروسها المرة في دوامة وأسر تمجده لذاته الصغيرة، والذي يجعله يظن واهماً أنه بمفرده هو الشعب بأكمله والوطن بمجموعه، ويا لها من هلوسة مخيفة وجنون قاتل يهدد الملايين.

لقد كشفت الأحداث الأخيرة أوراق التوت عن كثير من السواءات.

والت الأقنعة الوطنية والثورية عن بعض الوجوه فإذا خلفها ذئاب تختطف شعوباً بأسرها، وتقول لها حينما تتململ من سجنها مقوله محذرة: احمدوا الله على نعمة الحياة الآمنة، وإنني لم أعرض رقابكم لأنيابي الحادة، وأكلكم كما أكل الذئب الآخر الخراف الآمنة في المزرعة المجاورة.

يا لها من مساومة غير أخلاقية - تتنسر بالدين أحياناً - **بين الذئب والخraf حينما يتزهـم ويعرض عليهم خيارين الغبن ظاهر في كلـهما:**

- 1) إما الحياة والأمن المزعوم داخل أسوار مزرعتي العالية، لكم المزيد من البرسيم الطري والعلف اللذين.
 - 2) أو وضع رقابكم تحت أنيابي اللامعة، ومخاليبي القاطعة.
- خيارات لئيمان لا ثالث لها: أحكمكم بظلم، أو أقتلـكم بلا رحمة.

يستعين الذئب كعادته بعدد من النعاج السمينة لتزيـن لهم الخيار الأول وتخيفـهم من الثاني، وتحاول إقناعـهم بكذب وسوء نية من يحدثـهم عن المروج الخضراء الفسيحة، والحياة الحرة الكريمة خارج أسوار المزرعة وأسلالـها الشائكة.

تصدق الخراف البريئة - على عادتها - الذئب الذي يكرـم ولاءـها بالـمزيد من البرسيم الأخضر الحلو، والعلـف المستورد الطـري فتشتغلـ بأـكلـه، وجـمـعـه، والتـفاـخـرـ به عن أحـلامـ الحريةـ وـندـائـها.

إن رحمة الله بـعبادـه لا تـغـيـبـ، وإنـ شـكـ فيـهـ الشـاكـ، وـقـنـطـ منـهـ الـيـائـسـ، فالـذـئـبـ المـغـرـورـ نـسـيـ وـلـمـ يـفـطـنـ فيـ خـضـمـ جـنـونـ عـظـمـتـهـ لأـمـرـ مـهـمـ وـخـطـبـرـ فيـهـ سـرـ هـلاـكـهـ، وـهـوـ أـنـ لـلـبـرـسـيمـ وـالـعـلـفـ تـارـيـخـ وـأـجـلـ تـنـتـهـيـ فيـهـ صـلـاحـيـتـهـ، وـيـضـعـفـ مـفـعـولـهـ، وـيـزـوـلـ تـأـثـيرـهـ المـخـدـرـ.

عندـ تـسـيـقـظـ الخـرافـ منـ غـفـلـتـهاـ يـقـظـةـ لـاـ نـوـمـ بـعـدـهاـ، وـتـكـتـشـفـ حـقـيـقـةـ جـهـدـ الذـئـبـ فيـ إـخـفـائـهاـ سـنـيـنـ طـوـيـلـةـ، فـمـاـ الخـرافـ إـلـاـ أـسـوـدـ ضـارـيـةـ بـعـدـ وـضـلـتـ عنـ دـرـبـ أـبـائـهـ وـسـيـرـهـ، فـجـهـلـتـ ذـاتـهـ وـشـائـنـهـ.

سوف تـسـيـقـظـ الخـرافـ بـلـ الـأـسـوـدـ وـتـخـبـرـ الـكـوـنـ أـجـمـعـ بـالـسـرـ المـغـيـبـ، وـتـشـمـ عـبـقـ الـحـرـيـةـ الـذـيـ لـاـ يـعـدـلـهـ كـلـ بـرـسـيمـ الـأـرـضـ وـعـلـفـهـ حـتـىـ لـوـ كـانـ مـسـتـورـاـ.

المصادر: